المناقشة التالية مقتبسة من مقابلة إذاعية.

س: د. باركر، اعرف انك عندما بدات في تدريس علم الأحياء للمستوى الثانوي والجامعي، كنت تؤمن بشدة بنظرية التطور (النشوء والارتقاء).

ج: نعم، هذا صحيح. فإن فكرة التطور كانت مقنعة لي جداً. وكانت تعطيني الإحساس بأني متحد مع الكون الضخم، الدائم التطور، والذي يرتقي باستمرار نحو أشياء أعظم. كان التطور هو حقاً ديانتي، وكان بمثابة التزام إيماني ونظرة متكاملة للعالم وللحياة، وكان ينظّم كل شيء آخر بالنسبة لي، وقد انفعلت بشدة عندما تعرّضت نظرية التطور (النشوء والارتقاء) للهجوم والاعتراض.

بصفتها ديانة، كانت نظرية التطور(النشوء والأرتقاء) تجيب على أسئلتي عن الله، وعن الخطية، وعن الخلاص. كان الله غير ضروري، أو على الأقل لم يفعل شيئاً سوى أنه أوجد الجزيئات والتفاعلات التي نشأ عنها كل شيء آخر بشكل تلقائي. "الخطية" كانت مجرد نتيجة للغرائز الحيوانية التي لم يعد لها فائدة، وكان "الخلاص" يتضمن التكيّف الشخصي، وتطوير الذات للأفضل، وربما في

يوم من الأيام قد يمكننا أن نصل إلى الإنسان الأفضل بواسطة الهندسة الوراثية.

وفي عدم وجود إله يُحاسب البشر، وله قصد في وجودهم، رأيت أن مصيري في يدي. وقد تعلّقت بفكرة التقدّم التطوري الحتمي، وكانت هذه الفكرة تروق لي حقاً وكانت الجزء المفضّل لدي في نظرية التطور(النشوء والارتقاء).

س: هل اثّر إيمانك بنظرية التطور على أسلوبك في التدريس؟

ج: بكل تأكيد. ففي السنوات الأولى من التدريس لكل من المستويين الثانوي والجامعي، بذلت كل جهدي لإقناع الطلبة بأن نظرية النشوء والارتقاء(التطور) حقيقية، حتى أن بعض الطلبة وصلوا إلى حد البكاء أثناء الدرس. كنت أعرف أني أدرس العلوم الموضوعية، وليس الدين، ولكني كنت أحاول بكامل إدراكي أن أحول المعتقدات الدينية للطلبة في اتجاه نظرية التطور (النشوء والارتقاء).

في الحقيقة، وفي أثناء مناقشة مفتوحة مع مدرّسي الثانوي أثناء تخرّج دفعة جديدة من المدرسة، كنت أسعى إلى هدف واحد فقط: وهو تشجيع الطلبة على التحوُّل عن معتقداتهم الدينية واعتناق مبدأ نظرية النشوء والارتقاء (التطور) بدون الحاجة إلى الله الخالق!

س: كنت أظن أنه غير مسموح بتدريس الدين في المدارس العامة؟

ج: ربما لا يمكننا تدريس الدين المسيحي، ولكن لا توجد مشكلة بالمرة في تدريس الديانة الإلحادية التطورية. لقد فعلت ذلك بنفسي، وشاهدت الآثار التي تحدث في أفكار الناس وحياتهم عندما يقبلون نظرية التطور (النشوء والارتقاء). بالطبع، كنت في ذلك الوقت أعتقد أنه تأثير جيد، وأنه "يحرر الذهن من قيود الديانة الموحى بها" مما يجعل للشخص آراء أسمى نابعة منه.

س: بما أنك وجدت في فكرة التطور ديانة مقنعة بهذه الدرجة، واستمتعت بتدريسها للآخرين، فما الذي جعلك تغيّر رأيك؟

ج: كثيراً ما تعجبت من أن الله قد استطاع أن يغيّر شخصاً مقتنعاً مثلي، ولاسيما في وجود الكثير من الأشخاص المتدينين الآخرين (منهم عضوان في قسم الكتاب المقدّس الذي كنت أدرس فيه قبلاً!) الذين يؤيدون فكرة التطور على فكرة الخلق. ولكن من خلال مجموعة لدراسة الكتاب المقدّس كنت أحضرها مع زوجتي، في البداية لأغراض اجتماعية بحتة، أقنعني الله

ببطء بألا أعتمد على آرائي الشخصية أو آراء سائر السلطات البشرية، بل أعرفه معرفة شخصية في كل طرقي وهو يقوّم سُبُلي. إنها خبرة مباركة تعطيني أساساً راسخاً مُطلقاً ومنظوراً أبدياً يشمل التجديد المستمر للذهن.

س: هل كان تحوُّلك إلى الإيمان المسيحي هو السبب في اعتناقك لمبدأ الخلق؟

ج: كلا، على الأقل ليس في البداية. مثل الكثيرين من قبلي ومن بعدي، كنت أجمع ببساطة بين مبادىء إيماني المسيحي التي قبلتها حديثاً وبين ما تصوّرته "حقائق" العلم، فصرت أؤمن بالله وبالتطور، ثم أصبحت أؤمن بالخلق المتدرّج. كنت أظن أن الكتاب المقدّس يخبرني عن شخص الخالق، وأن التطور (النشوء والارتقاء) يخبرني عن الطريقة التي تم بها الخلق. ولكني بعد ذلك بدأت أجد مشاكل علمية في الجزء التطوري، ومشاكل لاهوتية في الجزء الديني. لا زال لي العديد من الأصدقاء الذين يؤمنون بالله وبالتطور أو بالخلق المتدرّج، ولكني اضطررت أخيراً للتخلّي عن هذه النظرية.

س: ما هي المشاكل اللاهوتية التي وجدتها في نظرية التطور (النشوء والارتقاء) ؟

ج: ربما كانت النقطة المحورية ترتكز على العبارة الكتابية "حسن جداً". في نهاية كل مرحلة من مراحل الخلق (باستثناء الثانية) قال الله عن خليقته أنها حسنة. وفي نهاية المرحلة السادسة قال عن إجمالي عمله في الخليقة أنه حسن جداً.

الآن جميع الذين أعرفهم ممن يؤمنون بالله وبالتطور وممن يؤمنون بالخلق المتدرج، وقد كنت قبلاً واحداً منهم، يحاولون الربط بين "المقياس الزمني الجيولوجي" وسجلّ الحفريات وبين مراحل الخلق. ولكن بغض النظر عن عمر الحفريات، فإنها تُظهر نفس الأشياء التي لدينا الآن على الأرض – المجاعات، الأمراض، الكوارث، الانقراض، الفيضانات، الزلازل، إلخ. فإذا كانت الحفريات تمثل مراحل في عملية الخلق الإلهي، فلماذا يقاوم المسيحيون الأمراض والمجاعات أو يساعدون في الحفاظ على الأصناف المهددة بالانقراض؟ إذا كانت الحفريات قد تكونت خلال أسبوع الخلق، فلا بد أن تكون هذه الأشياء كلها "حسنة جداً".

عندما بدأت أؤمن بالتطور، كانت لدي فكرة رومانسية عن التطور بأنه "تقدّم لا ينتهي". ولكن في الفقرات الختامية من كتاب "أصل الأنواع" The Origin of Species شرح داروين أن التطور، أو "نشأة الحيوانات الأعلى"، هو نتاج "حروب الطبيعة، من مجاعات وموت". فهل "حروب الطبيعة، من مجاعات وموت" يمكن أن تكون هي الوسيلة التي استخدمها الله لخلق عالم حسن جداً؟